



al-Burhān

JOURNAL OF QUR'ĀN AND SUNNAH STUDIES

VOLUME 4, NUMBER 2, AUGUST 2020



INTERNATIONAL ISLAMIC UNIVERSITY MALAYSIA

eISSN: 2600-8386



al-Burhān

Journal of Qur'ān and Sunnah Studies
Kulliyah of Islamic Revealed Knowledge and Human Sciences

Volume 4

1442 H/2020 M

Issue 2

Editor-in-Chief

Assoc. Prof. Dr. Sohirin Solihin

Associate Editor

Asst. Prof. Dr. Muhammad Adli Bin Musa

Guest Editor (Arabic)

Prof. Dr. Mohammed Abullais Shamsuddin

Editorial Board

Assoc. Prof. Dr. Ammar Fadzil, IIUM
(ammar@iium.edu.my)

Asst. Prof. Dr. Haziyah Hussin, UKM
(haziyah@ukm.edu.my)

Asst. Prof. Dr. Monika @ Munirah Binti Abd Razzak, UM
(munirahar@um.edu.my)

Asst. Prof. Dr. Muhammad Farid Ali al-Fijawi, IIUM
(abumariyah@iium.edu.my)

Asst. Prof. Dr. Muhammad Fawwaz Muhammad Yusoff, USIM
(fawwaz@usim.edu.my)

Asst. Prof. Dr. Nadzrah Ahmad, IIUM
(anadzrah@iium.edu.my)

Asst. Prof. Dr. Zunaidah Mohd. Marzuki, IIUM
(zunaidah@iium.edu.my)

Advisory Board

Prof. Dr. Muhammad A. S. Abdel Haleem, SOAS, University of London.
Prof. Dato' Dr. Mohd Yakub @ Zulkifli Bin Mohd Yusoff, University of Malaya.
Prof. Dr. Awad al-Khalaf, University of Sharjah, United Arab Emirates.

© 2020 IIUM Press, International Islamic University Malaysia. All rights reserved.

ISSN 2600-8386

Correspondence

Managing Editor, *al-Burhān*
Research Management Centre, RMC
International Islamic University Malaysia
P.O Box 10, 50728 Kuala Lumpur, Malaysia
Tel: (603) 6196-5541/6126 Fax: (603) 6196-4863
E-mail: alburhan@iium.edu.my
Website:
<https://journals.iium.edu.my/al-burhan/index.php/al-burhan>

Published by:

IIUM Press, International Islamic University Malaysia
P.O. Box 10, 50728 Kuala Lumpur, Malaysia
Phone (+603) 6196-5014, Fax: (+603) 6196-6298
Website: <http://www.iium.edu.my/office/iiumpress>

مَظَاهِرُ الاستدلالِ اللُّغَوِيِّ فِي تَفْسِيرِ الإِمَامِ الشَّعْرَاوِيِّ

Forms of Linguistic Inferences in the Exegesis of al-Imām al-Sha'rāwī

Bilal Daud Rasyid *

بلال داود راشد

Adham Muḥammad Ali Hamawiya, PhD **

أدهم محمد علي حموية

ملخص البحث: عني المفسرون بالمسائل اللغوية في ثنايا تفاسيرهم، واهتموا بها اهتمامًا بالغًا؛ لحاجتهم إلى فهم الأسرار المخفية وغير المخفية في بيان الآيات الكريمة. وزخرت أمّات كتب التفسير بمسائل العربية وعلومها. والإمام الشعراوي ممن اشتغلوا على تفسير القرآن الكريم وفق مباحث علوم العربية، لأنه عالم بالعربية مُلِمٌّ بعلومها، وأمضى معظم أوقات طلبه العلمَ معها. ولا غرو أن تفسيره جاء زاخرًا بالقضايا اللغوية والدلالية والبيانية التي استحالت استدلالات لغوية، لها مظاهرها التي تميز تفسيره. ومن ثم؛ يهدف هذا البحث إلى تحري تلك المظاهر التي تنمُّ عن جزئية من منهج الشعراوي تهتمُّ بالاستدلال اللغوي الذي يغلب في تفسيره. ومن خلال منهج استقرائي تحليلي جرى تتبُّع الجزئيات الواردة في تفسير الشعراوي، وعنونتها تحت كليات جامعة. فكانت الخلاصة أن توزَّعت مظاهر الاستدلال اللغوي لديه في ثلاثة أقسام. فمنها ما يعنى بالمنقول، ومنها ما يعنى بالكلمات، ومنها ما يعنى بالتركيب. وتحت كل قسم تتفرع المظاهر ذات الصلة، وسيقت لها الأمثلة التي توضحها من تفسير الشعراوي؛ رحمه الله.

الكلمات المفتاحية: الاستدلال اللغوي، الإمام الشعراوي، مناهج المفسرين، تفسير الشعراوي، التفسير اللغوي.

Abstract: The exegetes of the Qur'ān have paid great attention to linguistic issues in their commentary works (*tafsīr*). It is a necessity to do so as to understand the hidden secrets of the Qur'ān when elucidating the holy verses. Various issues of Arabic sciences have occupied numerous exegetical works. al-Imām al-Sha'rāwī was an example of an exegete who treated his work on the commentary of the Qur'ān in light of the Arabic studies given his repute as a scholar of Arabic studies and its sciences, and he has spent most of his educational journey mastering the field. Hence, it is not shocking that his commentary work is replete with linguistic, semantic and rhetoric issues which become the bases for his linguistic inferences. These linguistic inferences have its own aspects that characterise his works. This research aims to examine these aspects that reflect al-Sha'rāwī's particular methodology that concerns with linguistic issues. Through inductive and analytical methods, the particulars contained by al-Sha'rāwī's *tafsīr* were traced and located under some general principles. The research finds that his aspects of linguistic inference can be divided into three categories: the transmissions, the words, and the structures. Under each category, related aspects will be elaborated and justified with examples from his commentary work.

* Postgraduate Researcher, Department of Arabic Language and Literature, Kulliyah of Islamic Revealed Knowledge and Human Sciences, International Islamic University Malaysia. Email: bilalibnrasyid@yahoo.com

** Assistant Professor, Department of Fundamental and Interdisciplinary Studies, Kulliyah of Islamic Revealed Knowledge and Human Sciences, International Islamic University Malaysia. Email: adhamawiya@iium.edu.my

التمهيد

تعلّقت العربية بالقرآن الكريم منذ نزل، وتكفل الله سبحانه بحفظها بموجب حفظه القرآن الكريم؛ قال تعالى: ((إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)) [الحجر: ٩]، وقد عني المفسرون بالمسائل اللغوية في ثنايا تفاسيرهم، واهتموا بها اهتمامًا بالغًا؛ لحاجتهم إلى فهم الأسرار المخفية وغير المخفية في بيان الآيات الكريمة، وزخرت أمّات كتب التفسير بمسائل العربية وعلومها، وسجّل التاريخ أن أول من استعان بالشعر العربي في فهم آيات القرآن ابن عباس رضي الله عنه، وهو واضع الاتجاه اللغوي في التفسير، وهكذا؛ ألح علماء التفسير - وأكثرهم من اللغويين من مثل: الطبري، والثعالبي، والزمخشري، وابن عطية - في مقدمات تفاسيرهم؛ على ضرورة استيعاب أسرار العربية ودلالاتها والإمام بعلومها.

فالقرآن الكريم هو الدافع الأول لنشأة علوم العربية وتطوّر دراستها، والعامل الرئيس وراء كل هذا صيانة لغته من كل تحريف أو زيادة إثر فساد الملكة اللغوية، ويضاف إلى ذلك الحاجة إلى استكشاف مقاصده وتوضيح مراميه البلاغية والإيمانية، وبموجب هذه الصلة بين القرآن والعربية ظهر "التفسير اللغوي للقرآن" الذي يستحضر العربية منهجًا لبيان مدلول الآيات.^١

والإمام محمد متولي الشعراوي - رحمه الله - ممن اشتغلوا على تفسير القرآن الكريم في ضوء مباحث علوم العربية، لأنه عالم بالعربية مُلِّمٌ بعلومها، وأمضى معظم أوقات طلبه العلم معها، ولا غرو أن تفسيره جاء زاخرًا بالقضايا اللغوية والدلالية والبيانية التي استحالت استدالات لغوية لها مظاهرها التي تميز تفسيره.

نبذة من تفسير الشعراوي

التفسير حلقات تلفزيونية ابتدأها الشعراوي في برنامج "نور على نور" الذي قدمه أحمد فراج عام ١٩٧٣، ونالت إعجاب الجماهير المصرية والملايين الشعبية العربية والمسلمة، ثم تعاون

^١ يُنظر: عبد الكريم حمو، المسائل اللغوية والبلاغية في تفسير الإمام محمد متولي الشعراوي (الجزائر: دار ألفا للوثائق، ط١، ٢٠١٧)

طلابه مع دار "أخبار اليوم" في القاهرة، فنقحوا حلقات كل سنة، وأخرجوها في مجلد، حتى نُشر المجلد الخامس والعشرون عام ٢٠١٧، وجملة ما في المجلدات من تفسير الشيخ حتى المجلد الرابع والعشرين؛ ابتدأت بسورة الفاتحة، وانتهت إلى الآية الحادية عشرة من سورة الجمعة، فالتفسير لم يُدونه الشيخ بخط يده، وإنما تكفل أبنائه ومحبُّوه بكتابته وطبعه.

وقد بدأ الشعراوي تفسيره بمقدمة قصيرة عن التفسير ذكر فيها البسمة والتحميد والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، ثم ذكر أن تفسيره حصاد عمره العلمي، ودعا الله تعالى أن يكون قد وفى حق إيمانه، وأدى واجب عرفانه، وأن تكون خواطره مفتاحاً لمن يأتي بعده؛ إذ إن كتاب الله لا تنقضي عجائبه حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

ثم بين الشعراوي في نحو عشرين صفحة من مدخل تفسيره؛ معنى القرآن الكريم، وأهميته، وإعجازاته البياني والعلمي والغيبي، وبين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اكتفى أن يبين للناس من القرآن الكريم قدر حاجتهم من العبادة التي تبين لهم أحكام التكليف الإيماني، وترك ما يتعلق بغير التكليف للأجيال القادمة.^٢

أما الأسرار المكتنزة في القرآن الكريم عن الوجود، فاكتفى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما علم منها؛ لأنها في مقياس عقول هذا العصر؛ لم تكن العقول آنذاك لتقبلها، ولم يأت القرآن ليعلمنا أسرار الكون، ولكنه جاء بأحكام التكليف واضحة، وأسرار الوجود مكتنزة؛ إلى أن تتقدم الحضارات، ويتسع إدراك العقل البشري، فيكشف الله سبحانه من أسرار الكون ما يجعلنا أكثر فهماً لعطاءات القرآن الكريم.^٣

ومن ثم بدأ الشيخ الشعراوي تفسير القرآن الكريم حسب ترتيب المصحف، وينتهي كل مجلد منشور بفهرس الآيات التي فسرها فيه.^٤

^٢ يُنظر: محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي (القاهرة: دار أخبار اليوم، د.ط.، ١٩٩١) ج ١، ص ٥-٣٥.

^٣ يُنظر: رولى محمد أحمد محسن، منهج الشيخ محمد متولي الشعراوي في تفسير القرآن الكريم، رسالة ماجستير في الدراسات الفقهية والقانونية (جامعة آل البيت: المرق، المملكة الأردنية الهاشمية، ٢٠٠٠) ص ٣٠.

^٤ يُنظر: أحمد صلاح الدين بن محمد عزيزان، الضيافة والكرم في ضوء تفسير الشعراوي: دراسة تحليلية، رسالة ماجستير في معارف الوحي والتراث (الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا، كوالالمبور، ٢٠١٨) ص ١٨، ١٩.

والناظر في تفسير الشعراوي يجده ملتزماً مواصفات مفسر القرآن الكريم وأدواته المعروفة، ومنها أنه: مالك ناصية علوم العربية، وعالم بأسباب نزول الآيات ومواطن نزولها، وعارفٌ بالناسخ والمنسوخ والقراءات، ودارٍ بقصص الأنبياء، وقارئ سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وسير الصحابة الكرام، فضلاً عنه ورعه وزهده وحبّه العرب والمسلمين كافة، ولو دققنا في تفسير الشعراوي لرأيناه يتمشّي مع الترتيب المصحفي للصور والآيات، ويذكر أحياناً سبب نزول الآية وعلاقتها بما قبلها وما بعدها، ويسرد الرأي الفقهي من غير أن يدخل في المناقشات الفقهية، كما نلاحظ أنه مطلع على عدد كبير من التفاسير من خلال إيراده التأويلات التفسيرية؛ لذا جاء تفسيره موضوعياً؛ لأن ملكة الشعراوي اللغوية تدفعه إلى مراجعة المفردة القرآنية في سياقاتها المتنوعة في مختلف السور متى وردت لأول مرة، مراجعاً ومدققاً وميسراً؛ ليفهمه المتعلم وغيره، وأكبر ما يأسر النفس في تفسير الشعراوي سلاسة الأسلوب في كل اتجاه نحوي أو تشريعي أو فلسفي أو اجتماعي؛ لذا حاول الشعراوي إبراز معجزة القرآن الكريم العلمية واللغوية والبلاغية، واشتغل بالإعجاز البياني للقرآن، والرد على مزاعم المستشرقين.^٥

كان الشعراوي يقدم الآية القرآنية، ويُبعها بسؤال، ثم يعلل ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، ويأتي بنظائرها من القرآن لتجميعها، ليفهمها السامع والمتلقي في جوٍّ إيماني صافٍ، وبمنطق متسلسل وأسلوب ميسر، مازجاً في حديثه بين اللغة العربية واللهجة المصرية، ولا يكتفي باللغة المنطوقة في تفسيره، وإنما يتحرك جسمه كله، فذراعه ورأسه وجسمه تنساب مع الكلمات، وتسهم هذه الحركات والسكنات في التأثير على مستمعيه، مؤمناً بأن الدعوة إلى الله سبحانه سبيل النفع والنجاة، ولا صلاح لهذه الأمة إلا بامتثال القرآن الكريم.^٦

الجانب اللغوي في تفسير الشعراوي

اشترط العلماء في مُفسّر كتاب الله سبحانه جملةً من الشروط من أهمها أن يكون ملماًً بجملة من العلوم، وفي مقدمتها علوم العربية من نحو وصرف وبلاغة وبيان ومعان وغيرها، ولا سيما أن القرآن الكريم نزل ((بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ)) [الشعراء: ١٩٥]، فالمعرفة بالعربية تعين المفسر

^٥ يُنظر: حمو، المسائل اللغوية والبلاغية، ص ٣٦، ٣٧.

^٦ يُنظر: حمو، المسائل اللغوية والبلاغية، ص ٣٤، ٣٥.

على فهم مراد الله تعالى في كتابه فهمًا تامًّا، وتساعدته على استيعاب أساليبه الرفيعة، وتحميه من الوقوع في الخطأ واللبس، ومن يتتبع تفسير الشعراوي يجده يعتمد على اللغة أساسًا في تفسيره القرآن الكريم، ولا سيما أن تخصصه ودراسته ابتداءً كان في العربية من جامعة الأزهر الشريف، ولا مبالغة في أن نقول إن من أهم أسباب تميّز الشعراوي علمه ونبوغه في العربية وعلومها، وتسخير هذه العلوم لتفسير كتاب الله تعالى، وفهم معانيه.^٧

وقد عُرف عن الشعراوي أنه دارسٌ علوم العربية، عالمٌ فيها، سواء ما تعلق بمصنفات النحو والصرف والمعاجم، وليس مستغربًا أن يبدأ بداية لغوية معجمية لبيان أصول الكلمات بما يزيل عنها الإشكال،^٨ ويتتبع اشتقاقاتها، ويُطيل الكلام في ذلك.^٩

وقد تأثر الشعراوي بالزمخشري صاحب "الكشاف" تأثرًا بالغًا واضحًا في مواطن عدة، فالزمخشري من أكثر المفسرين ذكرًا على لسان الشعراوي، يُردد آراءه، ويحيل عليها في أكثر من موضع،^{١٠} والظاهر أنه تأثر أيضًا بجهود اللغويين من مثل: سيويه، وابن جني، وابن مالك.^{١١}

كما أن الشعراوي لم يكشف للقارئ مصادره في النحو إلا مصدرًا وحيدًا هو "الفية ابن مالك"، وكان كثيرًا ما يشير إليها عند شرحه القواعد النحوية،^{١٢} وقد يبدأ الشيخ الشعراوي تفسيره بقاعدة نحوية يُطيل فيها الكلام،^{١٣} ويذكر نواحي الإعراب في عدة مواضع من التفسير، ولا سيما الآيات التي يرتبط فيها المعنى بالإعراب ارتباطًا وثيقًا.^{١٤}

وللشعراوي طريقة خاصة، فقبل أن يُقدِّم تفسيره للمستمعين؛ يرجع إلى التفاسير المختلفة، وينظر ما قال أصحابها؛ بدليل ذكره بعض آراء المفسرين، وكأني مفسر لكلام الله تعالى ينبغي له أن يستأنس بالمعاجم العربية لفهم معاني الألفاظ وتحولاتها الاصطلاحية والشرعية؛

^٧ يُنظر: محسن، منهج الشيخ، ص ٧٢، ٧٣.

^٨ يُنظر: محسن، منهج الشيخ، ص ٣٣.

^٩ يُنظر: ابن محمد عزيزان، الضيافة والكرم، ص ٣٤.

^{١٠} يُنظر: ابن محمد عزيزان، الضيافة والكرم، ص ٢٠.

^{١١} يُنظر: حمو، المسائل اللغوية والبلاغية، ص ٣٨، ٣٩.

^{١٢} يُنظر: ابن محمد عزيزان، الضيافة والكرم، ص ٢٣.

^{١٣} يُنظر: ابن محمد عزيزان، الضيافة والكرم، ص ٣٥.

^{١٤} يُنظر: محسن، منهج الشيخ، ص ٣٣.

لم يرغب هذا المسلك عن الشعراوي؛ إذ اعتمد على معاجم لفظية وموضوعية أنارت له طريق التفسير، منها: "مقاييس اللغة" لأحمد بن فارس، و"مختار الصحاح" لأبي بكر الرازي، و"مفردات ألفاظ القرآن الكريم" للراغب الأصفهاني، و"لسان العرب" لابن منظور، وغيرها كثير.^{١٥}

وعلاوة على ذلك كله؛ كان الشعراوي شاعرًا نضح لديه قول الشعر، والشاهد الشعري من أبرز ما استعان به في مجال فهم المعنى وتحديد الدلالة على عادة المفسرين، سواء كان الشعر الذي يحتج به قديمًا أم حديثًا، فنراه يحتج بشعر امرئ القيس، والنابعة الذبياني، وأبي العتاهية، والمنتبي، والمعري، وغيرهم من القدامى، وإسماعيل صبري، وأحمد شوقي، وحافظ إبراهيم، وغيرهم من المحدثين، إلا أنه يورد الشواهد الشعرية كثيرًا من دون أن يسمي أصحابها، هذا كان نهج الشعراوي في الاستدلالات النحوية والشواهد الشعرية؛ سار عليه في تفسيره كاملاً.^{١٦}

مظاهر الاستدلال اللغوي في تفسير الإمام الشعراوي

ذكرنا أن الشعراوي ما يعنى في تفسيره بشيء عنايته بالقضايا اللغوية والدلالية والبيانية التي استحالت استدلالات لغوية لها مظاهرها التي تميز تفسيره، ويمكن توزيع هذه المظاهر في ثلاثة أقسام؛ منها ما يعنى بالمنقول، ومنها ما يعنى بالألفاظ، ومنها ما يعنى بالتراكيب.

أولاً: مظاهر تعنى بالمنقول

يتضمن المنقول كثيراً من المفردات، من مثل: القرآن الكريم وقراءاته، والحديث النبوي، والآثار عن الصحابة وأهل العلم، وكلام العرب من شعر ونثر، ولكن؛ لا يدخل كله في باب الاستدلال اللغوي، وإنما يدخل ما له صلة بالتوجيهات النحوية والاحتجاج لها.

وأبرز ما يعنى بالمنقول من مظاهر الاستدلال اللغوي في تفسير الإمام الشعراوي؛ ما

يأتي:

^{١٥} يُنظر: حمو، المسائل اللغوية والبلاغية، ص ٤٧.

^{١٦} يُنظر: حمو، المسائل اللغوية والبلاغية، ص ٤٤، ٤٥.

١. العناية بالقراءات:

معلوم أن القراءات كانت أساساً اتكأ عليه المفسرون؛ إذ لا يخلو تفسير من بيانها والاستدلال بها، فقد مثلت مصدرًا مهمًا من مصادر الأحكام الفقهية والعقدية وفق دلالاتها اللغوية التي تعرضها؛ لأنها أوثق علوم الملة الإسلامية اتصالاً بالنص القرآني الذي سعت إلى فهمه وإفهامه واستخراج مكنوناته.

وقد أشار الشعراوي إلى القراءة القرآنية أحياناً، ولا يلتزم إيراد جميع الكلمات التي تكثر فيها القراءات، ولكنه؛ يبين الفروق بين القراءات في الضبط والمعنى، وتأثيرها على المعنى العام للآية.^{١٧}

ومثاله تفسيره قوله تعالى: ((إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)) [المائدة: ١١٢]؛ قال الشعراوي: "وقد توقف العلماء عند قولهم: ((هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ))، وتساءل العلماء: كيف كان هذا القول؟ وخصوصاً أن معناه الظاهري: أيقدر ربك؟ وكيف للحواريين أن يقولوا ذلك بالرغم من أنهم أشهدوا عيسى عليه السلام بأنهم مسلمون؟ وقال العلماء أيضاً: إن من يتكلم في اللغة عليه أن يكون متبصراً باشتقاقات الألفاظ، واستعمالات الألفاظ، وسمات الألفاظ، وكلمة (يستطيع) بمعنى (يطيع) كما قالوا: (استجاب) بمعنى (أجاب)، وكأن معنى سؤالهم: أيستجيب الله وينزل علينا مائدة من السماء؟ و(استطاع) تقابل (استجاب)... وقيل المراد: هل تستطيع سؤال ربك من غير صارف ولا مانع يمنعك عن سؤاله؟ فقد قرأ الكسائي وغيره: ((هَلْ تَسْتَطِيعُ رَبُّكَ)) بنصب كلمة (ربك)، وأصلها: هل تستطيع سؤال ربك؟ فحذف المضاف (سؤال)، وأقيم المضاف إليه وهو كلمة (رب) مقامه فنصب، وقال الزمخشري: ما وصفهم الله بالإيمان والإخلاص، وإنما حكى ادعاءهم، وقولهم: ((هَلْ يَسْتَطِيعُ))؛ كلام لا يتأتى مثله من مؤمنين معظمين لربهم".^{١٨}

^{١٧} يُنظر: محسن، منهج الشيخ، ص ٦٢.

^{١٨} تفسير الشعراوي، ج ٦، ص ٣٤٦١، ويُنظر: عبد اللطيف الخطيب، معجم القراءات (دمشق: دار سعد الدين، ط ١، ٢٠٠٢) ج ٢، ص ٣٦٨، ٣٦٩.

وفي تفسيره قوله تعالى: ((أَوْ مِنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)) [الأنعام: ١٢٢]، قال الشعراوي: "ولنلاحظ أن فيه (مَيِّتًا) بالتخفيف، وفيه (مَيِّتٌ) بالتشديد، و(المَيِّت) هو من يكون مآله الموت وإن كان حيًّا، فكل منا مَيِّت وإن كان حيًّا، ولكن (المَيِّت) هو من مات بالفعل، وسُلبت وأزهقت روحه، ولذلك يخاطب الحق نبيّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيقول له: ((إِنَّكَ مَيِّتٌ)) [الزمر: ٣٠] ١٩.

وكذلك في تفسيره قوله تعالى: ((وَأَنْتُمْ مُفْرَطُونَ)) [النحل: ٦٢]؛ قال: "جاءت في كلمة (مُفْرَطُونَ) عدة قراءات: مُفْرَطُونَ، مُفْرَطُونَ، مُفْرَطُونَ، ومجمعيها تلتقي في المعنى، نحن حينما نصلي على جنازة مثلاً؛ إذا كان الميت مكلفاً نقول في الدعاء له: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه، اللهم إن كان مُحْسِنًا فزِدْ في إحسانه، وإن كان مُسِيئًا فتجاوز عن سيئاته، فإن كان صغيراً غير مُكَلَّفٍ قُلْنَا في الدعاء له: اللهم اجعله فَرَطًا وذخراً، فما معنى (فَرَطًا) هنا؟ معناه أن يكون الطفل فَرَطًا لأبويه ومُقدِّمة لهما إلى الجنة، يمرُّ بين يدي والديه، ويسبقهما إلى الجنة، وكأنه يُقدِّم عليهما ليُمهّد لهما الطريق ليغفر الله لهما، إذن؛ معنى (مُفْرَطُونَ) أي (مُقدِّمون)، ولكن إلى النار" ٢٠.

٢. نقل أقوال أئمة اللغة وأخبارهم:

هذا بدهي ما دام التفسير في غايته مراداً منه الفهم والإفهام بالكشف عن المعاني وما يترتب عليها من أحكام، ولأهل اللغة القدح المعلى في تسجيل هذه المعاني وبيانها بحيث يُنقل عنهم في سبيل استقصائها.

ويلاحظ أن الشعراوي قليلاً ما قيّد بتسمية من ينقل عنهم من أهل اللغة، ففي تفسيره قوله تعالى: ((إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَحُلْمَ الْحِنْزِيرِ وَمَا أَهَلَ بِهِ لَعْنِ اللَّهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ)) [البقرة: ١٧٣]؛ قال: "وذلك لأن للعرف في تحديد ألفاظ الشارع مدخلاً، فإذا حلفت ألا تأكل لحماً وأكلت سمكاً، فهل تحنث؟ لا تحنث، ويمينك

^{١٩} تفسير الشعراوي، ج ٧، ص ٣٩١٣، ويُنظر: الخطيب، معجم القراءات، ج ٢، ص ٥٣٦.

^{٢٠} تفسير الشعراوي، ج ١٣، ص ٨٠٣١، ويُنظر: الخطيب، معجم القراءات، ج ٤، ص ٦٥٠، ٦٥١.

صادقة؛ رغم أن الله وصف السمك بأنه لحم طري؛ إلا أن العُرف ساعة يُطلق اللحم لم يدخل فيه السمك، إذن؛ فالعُرف له اعتبار، لذلك فالزنجشري صاحب "الكشاف" يقول في هذه المسألة: لو حلفت ألا تأكل اللحم وأكلت السمك، فإجماع العلماء على أنك لم تحت في يمينك".^{٢١}

وفي قوله تعالى: ((وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِئْتَةً فَعَمُوا وَصَمُوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ)) [المائدة: ٧١]؛ قال الشعراوي: "و(عموا) مأخوذة من الفعل (عمي)، ومثلها مثل: أكلوا، وشربوا، وحضروا، فأين الفاعل؟ الفاعل هو واو الجماعة، وابن مالك قعد لهذه المسألة، فساعة تُسند الفعل إلى اثنين أو إلى جماعة؛ فلا بُدَّ أن تُجرد الفعل من علامة التثنية أو الجمع، فلا تقول: قاما زيد وعمرو، ولكن تقول: قام زيد وعمرو، ولا نقول: قاموا التلاميذ، بل نقول: قام التلاميذ؛ لأن مدلول الواو هو مدلول (التلاميذ)".^{٢٢}

وفي سياق تفسيره قوله تعالى: ((وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ)) [التوبة: ٣٠]؛ قال الشعراوي: "فاللغة ألفاظ يعبر بها كل قوم عن أغراضهم، والغرض هو معنى متفق عليه بين المتكلم والسامع، ولا بد أن يعرف الاثنان ما يشير إليه اللفظ من موضوعات، فإن لم يعرف السامع اللفظ الذي يتكلم به المتكلم فهو لا يفهم شيئاً، وهكذا نعلم أن الفهم بين المتكلم والمخاطب يُشترط فيه أن يكونا عليمين باللفظ، فإذا تكلم متكلم بشيء لا علم للسامع به؛ فهو لا يفهم، وكانوا يضربون لنا المثل قديماً بعقمة النحوي، وكان مشهوراً في النحو والألفاظ واللغة، ويتقعر في استخدام الكلمات، ولا يتكلم إلا باللغة الفصيحة الشاذة التي لا يعرفها الناس، وكان عند عقمة خادمٌ، فمرض عقمة النحوي مرة، وذهب إلى طبيب اسمه (أعجز)؛ ليشكو له علةً عنده، وقال عقمة للطبيب: قد أكلتُ من لحوم هذه الجوازى، فقصات منها قصاةً أصابني منها وجعٌ من الوابية إلى دابة العنق، ولم يزل يُمني حتى خالط الخلب، وأملى منه السراسيب، ولم يكن الطبيب متخصصاً في اللغة ولا معاجم عنده، فوقف مستغرباً من كلمات

^{٢١} تفسير الشعراوي، ج ٢، ص ٧١٥، ٧١٦، ويُنظر: الزنجشري، محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (بيروت: دار الكتاب العربي، ط ٣، ١٤٠٧هـ) ج ٢، ص ٥٩٨.

^{٢٢} تفسير الشعراوي، ج ٦، ص ٣٣١، ويُنظر: عبد الله بن عقيل، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد (القاهرة: دار التراث، ط ٢٠، ١٩٨٠) ج ٢، ص ٧٩-٨٥.

علقمة، وقال له: أعد عليّ ما قتلته فيّني لم أفهم! فأعاد علقمة عليه ما قاله بغضبٍ ولومٍ؛ لأنه لم يفهم لغته، وعرف الطبيب تقعرُ علقمة، فقال له: هات القلم والورقة لأكتب لك الدواء، وكتب له: خذ حرقةً وسلقةً ورهقةً، واغسله بماروس، واشربه بماء ماء، فقال علقمة: أعد عليّ، فوالله ما فهمت شيئاً! فقال الطبيب: لعن الله أقلنا إفهاماً لصاحبه، وعرف علقمة أنه متعبرٌ في اللغة، ويأتي بألفاظ ليست من الألفاظ الدائرة على ألسن الناس، وقال أساتذتنا لنا: ولم يُؤدّب به عن هذا إلا غلامه؛ أي خادمه، فقد استيقظ علقمة ذات ليلة، وقال: يا غلام، أصعبت العتاريف؟ ولأن الغلام لم يفهم فقد ردّ قائلاً: زقياً، وقال علقمة للغلام: وما زقياً؟! قال: وأنت! ما أصعبت العتاريف؟ فقال له: يا بني، لقد أردتُ: أصاحت الديكة؟ فقال: وأنا أردت: لم تصحّ." ٢٣

٣. الاحتجاج بالشعر:

يقول ابن فارس: "الشعر ديوان العرب، وبه حُفظت الأنساب، وعُرفت المآثر، ومنه تُعلّمت اللغة، وهو حجة فيما أشكل من غريب كتاب الله جل ثناؤه، وغريب حديث رسول الله، وحديث صحابته والتابعين"، ٢٤ فهو سجلهم، ومرآة عصرهم، ولما جاء الإسلام هدّب الشعرَ ورقّقه. ٢٥

وبالشعر استعان الشعراوي في عدة مواطن من تفسيره، سواء أكان الشعر قديماً أم حديثاً، ففي تفسيره قوله تعالى: ((وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ)) [الأعراف: ٢٠٤]؛ قال: "(لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ))، ونعلم أن (لعل) و(عسى) حين تُقال يُقصد بها الرجاء، و(ليت) تعني التمني، وهو مستحيل ولا يُتوقّع، ونحن نتمنى لنظهر أن هذا أمر محبوب لنا، لكننا نعلم أنه مستحيل، مثلما قال الشاعر العجوز:

٢٣ تفسير الشعراوي، ج ٨، ص ٥٠٣٦، ٥٠٣٧، والنحوي اسمه (أبو علقمة) لا (علقمة) كما قال الشعراوي؛ تُنظر أخباره في: الحموي، ياقوت بن عبد الله، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب "معجم الأدباء"، تحقيق إحسان عباس (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط ١، ١٩٩٣) ج ٣، ص ١٦٣٧-١٦٤١.

٢٤ أحمد بن فارس، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، تعليق: أحمد حسن بسج (بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٩٩٧) ص ٢١٢.

٢٥ يُنظر: حمو، المسائل اللغوية والبلاغية، ص ٤٤.

أَلَا لَيْتَ الشَّبَابَ يَعُودُ يَوْمًا فَأُخْبِرُهُ بِمَا فَعَلَ الْمَشَيْبُ

إنه يعلم يقيناً أن الشباب لن يعود، ولكن قوله يدل على أن الشباب فترة محبوبة، ومثل قول الشاعر:

لَيْتَ الْكَوَاكِبَ تَدُنُو لِي فَأَنْظِمَهَا عَقُودَ مَدْحٍ فَمَا أَرْضَى لَكُمْ كَلِمِي

ولن تدنو الكواكب، إذن؛ ساعة تسمع (عسى) أو (لعل) يتبادر إلى ذهنك أن هذا رجاء لأن يحدث، وإذا كان رجاء من الله، فهو رجاء من كريم لا بد له من واقع^{٢٦}.

ومثال آخر تفسيره قوله تعالى: ((لَا تُمَدِّنْ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاحْزِنُ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ)) [الحجر: ٨٨]، فقد قال الشعراوي: "وَحَفِضُ الْجَنَاحِ لِمَنْ آمَنَ برسالتك لا يورثه كبيراً عليك؛ بل يزيده أدباً معك، وقد جاء في الأثر: إذا عَزَّ أَخُوكَ فَهُنَّه، أي إنك إذا رأيت أخاك في وضع يعز عليك، فهُنْ له أنت، ومن قبل الإسلام قال الشاعر العربي:

صَفَحْنَا عَنْ بَنِي دُهَلٍ وَقُلْنَا: الْقَوْمُ إِخْوَانُ
عَسَى الْأَيَّامُ أَنْ يُرْجَعُ نَنْ قَوْمًا كَالَّذِي كَانُوا
فَلَمَّا صَرَّ الشَّرُّ فَأَمْسَى وَهُوَ عُزْرِيَانُ
مَشِينَا مِشِيَةَ اللَّيْثِ غَدَا، وَاللَّيْثُ غَضْبَانُ
بِضْرِبٍ فِيهِ تَوْهِينٌ وَتَحْضِيْعٌ وَإِقْرَانُ
وَطَعْنٍ كَفَمِ الزَّقِّ غَدَا، وَالزَّقُّ مَلَانُ
وَفِي الشَّرِّ نَجَاةٌ حِي نَنْ لَا يُنْجِيكَ إِحْسَانُ

^{٢٦} تفسير الشعراوي، ج ٨، ص ٤٥٤٧، والبيتان المذكوران؛ الأول لأبي العتاهية، إسماعيل بن القاسم، ديوان أبي العتاهية (بيروت: دار بيروت، د. ط، ١٩٨٦) ص ٤٦، والثاني للفقير عمارة اليميني، من قصيدة طويلة أوردتها في ترجمته: ابن خلكان، أحمد بن محمد، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس (بيروت: دار صادر، د. ط، د. ت) ج ٣، ص ٤٣١، ٤٣٢.

وَبَعْضُ الْجَلْمِ عِنْدَ الْجَهِّ — لِ لِذَلِكَ إِذْعَانٌ^{٢٧}.

ومن احتجاجه بالشعر الحديث ما أورده في سياق تفسيره قوله تعالى: ((قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ)) [البقرة: ٣٢]، فقد قال: "ويحضرني قول الشاعر أحمد شوقي حين قال:

سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ خَيْرَ مُعَلِّمٍ عَلَّمْتَ بِالْقَلَمِ الْقُرُونَ الْأُولَى
أَرْسَلْتَ بِالتَّوْرَةِ مُوسَى مُرْشِدًا وَابْنَ الْبَثُولِ فَعَلَّمَ الْإِنْجِيلَا
وَفَجَّرْتَ يُنْبِوَعِ الْبَيَانَ مُحَمَّدًا فَسَمَى الْحَدِيثَ وَنَاوَلَ التَّنْزِيلَا

وكأن شوقي يصوغ في أبياته أن كل علم هو منسوب إلى الله وحده، وهكذا يتضح لنا أن قول الملائكة: ((قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ))؛ يتضمن الاعتراف بأن العلم كله مرجعه إلى الله، فالله سبحانه وتعالى هو مصدر العلم والحكمة"^{٢٨}.

ثانيًا: مظاهر تعنى بالكلمات

مدار هذا معاني الكلمات على اختلافها من اسم وفعل وحرف، واشتقاقها الصرفي، ودلالاتها الحقيقية والمجازية، أو أنها من أمثلة المشترك اللفظي.

وأبرز ما يعنى بالكلمات من مظاهر الاستدلال اللغوي في تفسير الإمام الشعراوي؛ ما

يأتي:

١. تفصيل معاني الأدوات النحوية:

^{٢٧} تفسير الشعراوي، ج ١٣، ص ٧٧٧٠، ٧٧٧١، والأبيات للفند الرّماني، أوردها أبو تمام، حبيب بن أوس، ديوان الحماسة (القاهرة: طبعة التوفيق، د.ط، ١٣٢٢هـ) ص ٤، ٥.

^{٢٨} تفسير الشعراوي، ج ١، ص ٢٥٠، ويُنظر: أحمد شوقي، الشوقيات، تحقيق وتقديم عمر فاروق الطباع (بيروت: دار الأرقم، د.ط، د.ت) م ١، ص ٢٢٨.

هذا باب واسع جداً في التفسير،^{٢٩} مما حدا بكثيرين إلى أن ألفوا في الحروف ومعانيها، من مثل: الزجاجي، والرماني، والمالقي، وابن هشام.

ويتطرق الشعراوي أحياناً إلى معاني الأدوات النحوية، كما في تفسيره قوله تعالى: ((وَامْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ)) [النساء: ٤٣]؛ قال: "ولنا أن نبحث عن كيفية استعمال حرف الباء التي تسبق (رؤوسكم)؛ إن الباء في اللغة تأتي بمعان كثيرة؛ قال ابن مالك في الألفية:

بِالْبَاءِ اسْتَعِينْ وَعَدَّ عَوْضَ الصِّقِّ وَمِثْلَ (مَعَ) وَ(مِنْ) وَ(عَنْ) بِهَا

ومقصودُ بها أن تعطي الحرية للمشرع؛ لأن الباء تأتي لمعان كثيرة، للاستعانة مثل: كتبتُ بالقلم، ولتعديّة الفعل اللازم نحو: ذهبْتُ بالمريض إلى الطبيب، وللتعويض مثل: اشتريتُ القلم بعشرين جنيهاً، والالتصاق نحو: مررتُ بخالد، وتأتي بمعنى (مع)، مثل: بعثتُ البيت بأثاثه، أي مع أثاثه، وبمعنى (من)، مثل: شرب بماء النيل، أي من ماء النيل، وبمعنى (عن)، مثل قوله تعالى: ((سَأَلْ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ)) [اللعن: ١]، وتأتي أيضاً للظرفية، نحو: ذهبْتُ إلى فلان بالليل، أي في الليل، وتكون السببية، نحو: باجتهاد محمد مُنح الجائزة، أي بسبب اجتهاده، إلى غير ذلك من المصاحبة، نحو: ((فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ)) [النصر: ٣]، أي سبح مصاحباً حمد ربك".^{٣٠}

وفي تفسير قوله تعالى: ((كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ)) [البقرة: ١٨٠]، قال الشعراوي: "وهنا نجد شرطين؛ الشرط الأول يبدأ بـ(إذا)، وهي للأمر المتحقق، وهو حدوث الفعل، والموت أمر حتمي بالنسبة لكل عبد، لذلك جاء الحق بهذا الأمر بشرط هو (إذا)، فهي أداة لشرط، وظرف لحدث، والموت هو أمر محقق إلا أن أحداً لا يعرف ميعاده، والشرط الثاني يبدأ بـ(إن)، وهي

^{٢٩} يُنظر: محمد أحمد الصغير، الأدوات النحوية في كتب التفسير (بيروت، دار الفكر المعاصر، ط ١، ١٤٢٢هـ).

^{٣٠} تفسير الشعراوي، ج ٥، ص ٢٩٥٢، ٢٩٥٣، وتُنظر معاني الباء في: ابن هشام، عبد الله بن يوسف، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق وشرح عبد اللطيف الخطيب (الكويت: السلسلة التراثية، د. ط، ٢٠٠٢) ج ٢، ص ١١٧-١٨١.

أداة شرط نقولها في الأمر الذي يحتمل الشك؛ فقد يترك الإنسان بعد الموت ثروة وقد لا يترك شيئاً".^{٣١}

وفي قوله تعالى: ((أَلَا إِنَّهُمْ يَمْتَنُونُ صُدُورَهُمْ لَيَسْتَخِفُّوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَعْتَشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ)) [هود: ٥]؛ قال الشعراوي: "وإذا وجدت (ألا) في أول الكلام فأنت تعلم أنها للتنبية، معنى التنبية أن أمر يوقظ لك السامع إن كان غافلاً؛ لأنك تحب ألا تفوته كلمة من الكلام الذي تقوله".^{٣٢}

٢. بيان الاشتقاق الصرفي:

نعلم أن اشتقاق الكلمة ومعرفة وزنها يفيد المفسر في فهم معنى الآية في دقة؛ لذا حرص الشعراوي على بيان اشتقاق بعض الكلمات القرآنية وأوزانها، واقتصر على ما يعينه في التفسير.

ومثال ذلك بيانه اشتقاق لفظ (يخادعون) ووزنه في قوله تعالى: ((إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالًا يُرَآؤُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا)) [النساء: ١٤٢]؛ قال الشعراوي: "و(خَادَعَ) تعني حدوث عمليتين، مثل قولنا: قاتل فلان فلاناً، فالقتال يحدث بين طرفين، وكذلك نقول: شارك فلان فلاناً؛ لأن مادة (فاعَل) تحتاج إلى طرفين، لكن عندما نقول: قتل، فالفعل يحدث من جانب واحد، والخداع يبدأ من واحد، وعندما يرى الشخص الذي يُراد خداعه أن خصمه أقوى منه فإنه يبيت له خداعاً آخر، وتسمى العملية كلها (مخادعة)، ويقال: خادعه فخدعه، إذا غلبه وكان أخدع منه، ومن إذن الذي غلب؟ إن الذي يبيت الخداع رداً على خداع خصمه هو الغالب، ولأن الخداع يحدث أولاً، وبعد ذلك يتلقى المخدوع الأمر بتبنيته أكبر؛ فهو خادع، والذي يغلب نقول عنه: أخدعه، أي أزال خداعه".^{٣٣}

^{٣١} تفسير الشعراوي، ج ٢، ص ٧٥٦، وتُنظر معاني (إن) و(إذا) على الترتيب؛ في: ابن هشام، معني اللبيب، ج ١، ص ١٢٥-١٥٨؛ ج ٢، ص ٤٨-١١٠.

^{٣٢} تفسير الشعراوي، ج ١٠، ص ٦٣١٦، وتُنظر معاني (ألا) في: ابن هشام، معني اللبيب، ج ١، ص ٤٣٩-٤٥٢.

^{٣٣} تفسير الشعراوي، ج ٥، ص ٢٧٣٨-٢٧٣٩، وتُنظر معاني صيغة (فاعَل) في: أحمد الحملاوي، شذا العرف في فن الصرف، شرحه وفهرسه واعتنى به عبد الحميد هندراوي (بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ٢٠٠٧) ص ٤٨.

وكذلك بيانه في تفسير قوله تعالى: ((نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ)) [النحل: ٦٦]؛ قال: "مادة (سقى) جاءت في القرآن مرة (سقى)، ومرة (أَسْقَى)، وبعضهم قال إن معناهما واحد، ولكن التحقيق أن لكل منهما معنى، وإن اتفقا في المعنى العام؛ (سقى) كما في قوله تعالى: ((وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا)) [الإنسان: ٢١]، أي أعطاهم ما يشربونه، ومضارعه (يَسْقِي)، ومنها قوله تعالى في قصة موسى عليه السلام: ((فسقى هُما)) [القصص: ٢٤]، أما (أَسْقَى) كما في قوله تعالى: ((فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ)) [الحجر: ٢٢]، فمعناه أنه سبحانه أنزل الماء من السماء لا يشربه الناس في حال نزوله، ولكن ليكون في الأرض لمن أراد أن يشرب، فالحق - تبارك وتعالى - لم يفتح أفواه الناس أثناء نزول المطر ليشربوا منه، لا بل هو مخزون في الأرض لمن أراده، والمضارع من (أَسْقَى) (يَسْقِي)، إذن؛ هناك فَرْقٌ بين الكلمتين، وإن اتفقتا في المعنى العام، وفرقٌ بين أن تُعْطَى ما يُسْتَفَادُ منه في ساعته، مثل قوله: ((وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ))، وبين أن تُعْطَى ما يُسْتَفَادُ منه فيما بعد كما في قوله: ((فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ))" ٣٤.

وفي قوله تعالى: ((حَرَّضِ الْمُؤْمِنِينَ)) [الأنفال: ٦٥]؛ قال الشعراوي: "أي حَثَّهِمْ وَحُضَّهِمْ وَحَمَّسَهُمْ، والفعل يتكون من الحاء والراء والضاد، ومنها (حرض) و(يحررض)، ومادة هذه الكلمة معناها القرب من الهلاك، ونجد قول الحق تبارك وتعالى على لسان إخوة يوسف لأبيهم: ((قَالُوا تَاللَّهِ تَقْتُلُ تَذَكَّرُ يُوْسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ)) [يوسف: ٨٥]، أي إنك ستستمر في ذكر يوسف حتى تقترب من الهلاك أو تهلك بالفعل، ولكن؛ هل معنى (حَرَّضَ) هنا يعني: قَرَّبَ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْهَلَاكِ؟ نقول: لا؛ لأن ما يسمونه (الإزالة)، وهي أن يأتي الفعل على صورة يزيل أصل اشتقاقه، عندما تقول: قَشَّرْتَ الْبَرْتَقَالَ، أي أزلت قشرتها، وكذلك قولنا: مَرَّضَ الطَّيْبُ فَلَائِيًا، وليس المعنى أن الطبيب قد أحضر له المرض، ولكن معناها: أزال المرض، إذن؛ فهناك أفعال تأتي وفيها معنى الإزالة، ويأتي معنى الإزالة مرة بتضعيف الحرف الأوسط مثل (حَرَّضَ) و(قَشَّرَ)، ومرة تأتي بهمزة، فتعطي معنى الإزالة، فإذا قلت: أعجم الكتاب، فمعناها أنه أزال عجمته، ولذلك نسمي كتب اللغة (المعاجم)، أي التي تزيل خفاء اللغة وتعطينا معاني

٣٤ تفسير الشعراوي، ج ١٣، ص ٨٠٤٣-٨٠٤٥، وتُنظَرُ معاني صيغة (أفعل) في: الحملوي، شذا العرف، ص ٤٥-٤٧.

الكلمات... ومعنى الآية الكريمة: اطلب منهم يا محمد أن يزيلوا قريهم من الهلاك بالقتال، وهذه القاعدة اللغوية تفسر لنا كثيراً من آيات القرآن الكريم".^{٣٥}

٣. الحرص على المعنى الحقيقي للكلمة:

قال الزركشي: "وكلُّ لفظ احتمل معنيين تصاعداً فهو الذي لا يجوز لغير العلماء الاجتهادُ فيه، وعلى العلماء اعتماد الشواهد والدلائل، وليس لهم أن يعتمدوا مجرد رأيهم فيه"،^{٣٦} ومن ثم يجب حمل الكلمة على حقيقة معناها، والمصير إليها، ولا يجوز العدول عنها إلا بدليل أقوى منها يدلُّ على حمله عن ظاهر المتبادر منه إلى الاحتمال المرجوح.^{٣٧}

ويلاحظ أن الشعراوي لم يخرج عن هذا الضابط في تفسيره، وما يحرص على شيء حرصه على المعنى الحقيقي للكلمة، أما المعاني المجازية فنادرًا ما يوردها موافقًا عليها، وإلا أوردتها لردّها.

مثال الأول تعليقه على قوله تعالى: ((وَيُهْلِكُ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ)) [البقرة: ٢٠٥]؛ فائلاً: "والحَرْث ذاته لا يهلك، إنما يهلك ما نشأ عنه من زُرُوع وثمار، فسَمِيَ الزرع (حَرْثًا)؛ لأنه ناشئ عنه، كما في قوله تعالى أيضاً: ((كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ)) [آل عمران: ١١٧]، لكن؛ لماذا سَمِيَ الحَرْث (زَرْعًا) مع أن الحَرْث مجرد إعداد الأرض للزراعة؟ قالوا: لِيُبيِّنَ أنه لا يمكن الزرع إلا بحَرْث؛ لأن الحَرْث إهاجة تُرْبَةِ الأرض، وهذه العملية تساعد على إدخال الهواء للتربة وتخفيفها من الماء الزائد... لذلك سَمِيَ الزرع (حَرْثًا)؛ لأنه سببُ نمائه وزيادته وجودته".^{٣٨}

ومثال الثاني رفضه أن جعل المفسرون تسبيح الجبال في قوله تعالى: ((وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ)) [الأنبياء: ٧٩]؛ تسبيح دلالة، فقال: "حينما وقف العلماء أمام هذه الآية...

^{٣٥} تفسير الشعراوي، ج ٨، ص ٤٧٩١-٤٧٩٣، وتُنظر معاني صيغة (فَعَّلَ) في: الحملاوي، شذا العرف، ص ٤٩، ٥٠.

^{٣٦} الزركشي، محمد بن بهادر، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم (بيروت: المكتبة العصرية، د. ط، ١٩٤١ هـ) ج ٢، ص ١٦٦.

^{٣٧} يُنظر: محمد الأمين الشنقيطي، مذكرة أصول الفقه (مكة المكرمة: دار عالم الفوائد، ط ١، ١٤٢٦ هـ) ص ٢٧٥.

^{٣٨} تفسير الشعراوي، ج ١٥، ص ٩٥٩٩، ٩٦٠٠.

قالوا: يعني تسبيح دلالة، فهي بحالها تدلُّ على الخالق سبحانه، وليس المراد التسبيح على حقيقته، وأولى بهم أن يعترفوا لها بالتسبيح؛ لكنه تسبيح لا نفهمه نحن، كما قال تعالى: ((وَلَكِنَّ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ)) [الإسراء: ٤٤] ٣٩.

وفي غير هذا كان الشعراوي دائماً يحرص على المعنى الحقيقي لكلمة، فكأنه يتعد عن التأويل ما أمكنه، ففي قوله تعالى: ((وَأَتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا)) [النساء: ١٦٣]؛ قال: "المادة كلها مأخوذة من: زَبَرَ البئر، فعندما يقوم الناس بحفر بئر ليأخذوا منها الماء؛ يخافون أن ينهال التراب من جوانبها عليه فتطمر البئر؛ لذلك يصنعون لجان البئر بطانة الحجارة، وفي الريف المصري نجد أنهم يصنعون تلك البطانة من الإسمنت، وكلمة: زَبَرَ البئر؛ تؤدي معنى كل عملية لإصلاح البئر؛ ثم أخذ الناس هذه الكلمة في معانٍ مختلفة، فسموا العقل (زَبْرًا)؛ لأنه يعقل الأمور." ٤٠

وفي قوله تعالى: ((وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادُوا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ)) [الأعراف: ٤٦]، قال الشعراوي: "و(الأعراف) جمع (عُرف) مأخوذ من: عرف الديك، وهو أعلى شيء فيه، وكذلك: عرف الفرس، كأن بين الجنة مكاناً مرتفعاً كالعرف يقف عليه أناس؛ يعرفون أصحاب النار بسيماهم، فكأن من ضمن السمات والعلامات ما يميز أهل النار عن أهل الجنة." ٤١

وفي معرض تفسيره قوله تعالى: ((وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا)) [النساء: ١٦٤]؛ حمل الشعراوي (التكليم) على معناه الحقيقي، منبهاً إلى أن صفة التكلم لله عزَّ وجلَّ تُؤخذ في سياق قوله تعالى: ((لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ)) [الشورى: ١١]؛ قال الشعراوي: "وقف العلماء هنا وقفة عقلية، وقالوا: كيف يتكلم الله إذن؟ ونقول: إن كل وصفٍ لله ويوجد مثله لخلقه؛ إنما نأخذه بالنسبة لله في إطار: ((لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ))، فإن قلت: إن لله وجوداً وللإنسان وجوداً؛ فوجود الإنسان ليس كوجود الله، وإن قلنا: إن لله علماً وللإنسان علماً؛ فعلم الإنسان ليس كعلم الله، وإن قلنا: إن لله قدرةً وللإنسان قدرة؛ فقدرة الإنسان ليست كقدرة الله، وإن قلنا: إن لله استواءً على العرش

٣٩ تفسير الشعراوي، ج ١٥، ص ٩٦٠٦.

٤٠ تفسير الشعراوي، ج ٥، ص ٢٨٣٠، ويُنظر: ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، تحقيق جمع من المحققين (القاهرة: دار المعارف، د. ط، د. ت) مادة (زبر).

٤١ تفسير الشعراوي، ج ٧، ص ٤١٥٠، ويُنظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (عرف).

وللإنسان استواء على الكرسي؛ فاستواء الله ليس كاستواء الإنسان، إذن؛ فلا بُدَّ أن تُؤخذ كل صفة من صفات الله التي يوجد مثلها في البشر؛ في إطار قوله: ((لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ))^{٤٢}.

٤ . قبول المشترك اللفظي:

المشترك اللفظي علامة واضحة في العربية، وميزة لها، ومن عوامل تنميتها، وقد تنبّه إليه العلماء، وأشاروا إلى شواهد المعاني التي تدور ألفاظه عليها، ثم إنه اختلف فيه بين الأصوليين من حيث وقوعه نفيًا وجوازًا، ولا سيما في القرآن الكريم والسنة النبوية، أما اللغويون فيكادون يُجمعون على وقوعه^{٤٣}.

وقد تحدث الشعراوي عن المشترك اللفظي في تفسيره، فقال: "وفي اللغة شيء يسمى (المشترك)؛ اللفظ يكون واحدًا ومعانيه تختلف حسب السياق، فمثلاً كلمة (قضى) لها معانٍ متعددة، ولها معنى يجمع كل معانيها؛ مرة يأتي بها الحق بمعنى (فرغ) أو (انتهى) في قوله تعالى: ((فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا)) [البقرة: ٢٠٠]، ومعناها: إذا انتهيتُم من مناسك الحج، ومرة يقول سبحانه: ((فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا)) [طه: ٧٢]، والمعنى: افعل ما تريد، وفي آية أخرى يقول الله تعالى: ((وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ)) [الأحزاب: ٣٦]، والمعنى هنا أنه إذا قال الله شيئًا لا يُترك للمؤمنين حق الاختيار، ومرة يصور الله جل جلاله الكفار في الآخرة وهم في النار يريدون أن يستريحوا من العذاب بالموت، وقرأ قوله سبحانه: ((وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رُبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَّا كُنْتُمْ)) [الزخرف: ٧٧]، ((لِيَقْضِ عَلَيْنَا)) هنا معناها: يميتنا، ومعنى آخر في قوله تعالى: ((وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ)) [إبراهيم: ٢٢]، أي لما انتهى الأمر ووقع الجزاء، وفي موقع آخر قوله سبحانه: ((فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ)) [القصص: ٢٩]، قضى الأجل؛ هنا بمعنى: أتم الأجل، وفي قوله تعالى: ((وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ)) [يونس: ٥٤]، أي حُكم وفُصل بينهم، وقوله جل جلاله: ((وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ)) [الإسراء: ٤]، بمعنى: أعلمنا بني إسرائيل في كتابهم، إذن؛ (قضى) لها

^{٤٢} تفسير الشعراوي، ج ٥، ص ٢٨٤٦، ويُنظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (مثل).

^{٤٣} يُنظر: توفيق محمد شاهين، المشترك اللغوي نظرية وتطبيقًا (القاهرة: مكتبة وهبة، د.ط، ١٩٨٠)؛ عبد الواحد حسن الشيخ، البلاغة وقضايا المشترك اللفظي (الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، د.ط، ١٩٨٦).

معان متعددة يحددها السياق، ولكن هناك معنى تلتقي فيه كل المعاني، وهو: قضى، أي حكم، وهذا هو المعنى الأم".^{٤٤}

وفي تفسير الشعراوي قوله تعالى: ((فَانْفَجَرْتُمْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا)) [البقرة: ٦٠]؛ قال: "وهناك شيء في اللغة يسمونه (اللفظ المشترك)، وهو الذي يُستخدم في معانٍ متعددة، فإذا قلت: سقى القوم دوائهم من العين؛ العين هنا عين الماء، وإذا قلت: أرسل الأمير عيونيه في المدينة؛ يعني: رسل جنوده، وإذا قلت: اشتريته بعين؛ أي بذهب، وإذا قلت: نظر إليّ بعينه شذراً؛ أي ببصره، إذن؛ كلمة (عين) تُستخدم في أشياء متعددة، ومعناها هنا عين الماء الجارية".^{٤٥}

وفي تفسير قوله تعالى: ((وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)) [السجدة: ٢٨]؛ قال الشعراوي: "وكلمة (الفتح) تأتي بمعانٍ متعددة يحددها السياق... وكلمة (الفتح) تُستخدم أولاً في الأمر المادي، تقول: فتحتُ الباب؛ أي أزلت مغاليقه، وهذا هو الأصل في معنى الفتح، فالحق سبحانه يقول في قصة سيدنا يوسف عليه السلام: ((وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ)) [يوسف: ٦٥]، ففتحوا متاعهم الفتح المادي الذي يزيل عنه الأربطة، وقد يُراد الفتح المعنوي، كما في قول الله تعالى: ((وَإِذَا حَلَا بِعَعْضِهِمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُوكُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ)) [البقرة: ٧٦]؛ أي بما أعطاكم الله ومنحكم من الخير ومن العلم، ويأتي الفتح بمعنى إظهار الحق في الحكم بين حق وباطل وتجليّة الأمر فيه؛ لذلك يسمى أهل اليمن القاضي (الفتاح)، ويأتي بمعنى النصر والغلبة، كما في هذه الآية التي معنا: ((وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)) [السجدة: ٢٨]، ولا بد أن يقول المؤمنون في إجابة هذا السؤال: نحن لا نقول إننا صادقون أو كاذبون في هذا الخبر؛ لأن هذه مسألة بعيدة عنا، ولا دخل لنا بها، إنما هي من الله الذي أخبرنا هذا الخبر، فنحن لا نُوصَف فيه، لا بصدق ولا بكذب".^{٤٦}

^{٤٤} تفسير الشعراوي، ج ١، ص ٣٦١، ٣٦٢، ويُنظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (قضى).

^{٤٥} تفسير الشعراوي، ج ١، ص ٥٥١-٥٥٣، ويُنظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (عين).

^{٤٦} تفسير الشعراوي، ج ١٩، ص ١١٨٧٤، ويُنظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (فتح).

ثالثاً: مظاهر تعنى بالتراكيب

واضح أن الضابط في هذه المظاهر إنما قوامه الإعراب والدلالة، أي علما النحو والبلاغة؛ قال الزجاج: "وإنما نذكر مع الإعراب المعنى والتفسير؛ لأن كتاب الله ينبغي أن يُتَبَيَّن، لا ترى أن الله يقول: ((أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ)) [النساء: ٨٢]، فحُضِّنَا عَلَى التَّدْبِيرِ وَالنَّظَرِ، وَلَكِنْ لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَتَكَلَّمَ إِلَّا عَلَى مَذْهَبِ أَهْلِ اللُّغَةِ، أَوْ مَا يُوَافِقُ نَقْلَةَ أَهْلِ الْعِلْمِ".^{٤٧}

وأبرز ما يعنى بالتراكيب من مظاهر الاستدلال اللغوي في تفسير الإمام الشعراوي؛ ما يأتي:

١. التوجيه النحوي:

الإعراب والتفسير علمان متداخلان؛ إذ الإعراب السديد يؤدي إلى نظرة صائبة في تفسير الآية القرآنية، وبالعكس؛ النظرة الصائبة في تفسير الآية القرآنية يؤدي إلى إعرابها إعراباً سديداً؛ لذا لا يمكن الفصل بين التفسير وتوجيه القرآن توجيهاً نحويّاً، والمعرب والمفسر يتكامل جهدهما في سبيل بيان المعاني ومتعلقاتها.

ففي قوله تعالى: ((إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوا شَيْئاً وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ)) [التوبة: ٤]؛ قال الشعراوي: "هذا استثناء، ولكنه استثناء مشروط بأن هؤلاء كانوا أمناء على العهد، وموفين به، لم ينقصوا منه شيئاً... ولقائل أن يقول إن المستثنى يقتضي مستثنى منه، ونقول: مستثنى منه هم المشركون في قوله الحق تبارك وتعالى: ((إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوا شَيْئاً وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا))".^{٤٨}

وفي قوله تعالى: ((وَلَمَّا أَخْرَجْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيْقُولُنَّ مَا يَحْسِبُهُ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ))؛ قال الشعراوي: "وساعة تجد

^{٤٧} الزجاج، إبراهيم بن السري، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق أحمد فتحي عبد الرحمن (بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ٢٠٠٧) ج ١، ص ١٨٥.

^{٤٨} تفسير الشعراوي، ج ٨، ص ٤٨٦٩، ويُنظر مبحث الاستثناء في: مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية، تحقيق عبد المنعم خفاجة (صيدا، بيروت: الدار العصرية، ط ٢٨، ١٩٩٣) ج ٣، ص ١٢٧-١٤٦.

(لئن) فافهم؛ اللام الأولى التي بعد (و) إنما جاءت لتدل على أن الكلام فيه قسمٌ مؤكد، وإن كان محذوفاً، اكتفى باللام عن القسم، وتقديره: والله لئن... فالواو هنا هي واو القسم، هنا أيضاً شرطٌ، والقسم يحتاج لجواب، والشرط أيضاً يحتاج إلى جواب، وإذا اجتمع الشرط والقسم فبلاغة الأسلوب تكتفي بجواب واحد، مثلما تقول: والله إن فعلت كذا لأفعلن معك كذا، وهكذا يُعنى جواب القسم عن جواب الشرط، والمتقدم سواء أكان قسماً أو شرطاً؛ هو الذي يغني جوابه عن الآخر، مثلما نقول: والله إن جاء فلان لأكرمه، فالقسم هنا متقدم، أغني جوابه عن جواب الشرط، وإن قلت: إن جاءك فلان والله لتكرمه، فهنا الشرط هو المتقدم، والاثنتان متحدتان، لكن غاية ما هناك أن القسم تأكيد والشرط تأسيس، فإذا تقدّم ذو خبرٍ على الاثنتين - على الشرط وعلى القسم - نأتي بجواب الشرط فوراً، مثلما نقول: زيد والله إن جاءك أكرمه؛ لأن الشرط - كما قلنا - تأسيس، والقسم تأكيد، ويرجح هنا الشرط؛ لأن التأسيس أولى من التأكيد، وهنا يقول الحق سبحانه: ((وَلَئِنْ أَخْرَجْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ))، الجواب هنا للقسم، وهو يغني عن جواب الشرط؛ أي إن العذاب يؤخر^{٤٩}.

وفي تفسيره قوله تعالى: ((فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ))^{١٨٣}؛ قال الشعراوي: "كلمة (رجع) من الأفعال، وكل فعل يجب أن يكون له فاعل ومفعول، فلا يمكن أن تقول: ضَرَبَ مُحَمَّدٌ، ثم تسكت؛ لأنه عليك أن تبين مَن المضروب، ولا يمكن أن تقول: قَطَفَ مُحَمَّدٌ، بل لا بُدَّ أن تقول ماذا قطف، وهكذا تحتاج إلى مفعول يقع عليه الفعل، ولكن هناك أفعالاً لا تحتاج إلى مفعول، كأن تقول: جلس فلان، والفعل الذي يحتاج إلى مفعول اسمه (فعل مُتَعَدٍّ)، أما الفعل الذي لا يحتاج إلى مفعول فاسمه (فعل لازم)، إذن؛ فهناك فعلٌ متعَدٍّ، وفعلٌ لازمٌ"^{٥٠}.

٢. الإشارات البلاغية:

^{٤٩} تفسير الشعراوي، ج ١٠، ص ٦٣٣١-٦٣٣٣، ويُنظر اجتماع الشرط والقسم في: الغلابي، جامع الدروس العربية، ج ٢، ص ١٩٤، ١٩٥.

^{٥٠} تفسير الشعراوي، ج ٩، ص ٥٣٨٥، ويُنظر مبحث الفعل المتعدي في: الغلابي، جامع الدروس العربية، ج ١، ص ٣٤، ٤٥.

لا شك في أن المفسرين اهتموا بعلوم البلاغة العربية من قبيل أنها عمدة الإعجاز القرآني الذي تحدّى سبحانه أهل البيان أن يأتوا بمثله، وهكذا كانت العلاقة بين البلاغة والتفسير تبادلية؛ لأنهما علمان قرآنيان، وقد تطور الكلام في احتياج كل منهما إلى الآخر؛ حتى إن السكاكي نبّه إلى ضرورة إحاطة المفسّر بعلمي المعاني والبيان، وقال: "فالويل كلُّ الويل لمن تعاطى التفسير وهو فيهما راجل".^{٥١}

والواضح أن الشعراوي سلك منهجاً واضحاً أبرز فيه النواحي البلاغية في القرآن الكريم، فوضّح سرّ إعجازه ونظمه وبلاغة أسلوبه، كما اهتم بإبداء المعاني الدقيقة التي تحملها التراكيب القرآنية بين طياتها؛ لأنه يعلم أن لكل حرف حكمة، وكل كلمة حكمة، وكل جملة حكمة.^{٥٢}

ففي شرحه التشبيه في قوله تعالى: ((مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ)) [البقرة: ١٧]، قال الشعراوي: "يريد الحق سبحانه وتعالى أن يقرب صفات التمزق في المنافقين إلى فهمنا، ولذلك فهو يضرب لنا الأمثال، و(الأمثال) جمع (مثل)، وهو الشبيه الذي يقرب لنا المعنى، ويعطينا الحكمة، والأمثال باب من الأبواب العريقة في الأدب العربي... وأراد الله أن يقرب هذا المعنى إلينا، فقال: ((مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا))... أي حاول أن يوقد ناراً، والذي يحاول أن يوقد ناراً لا بُدَّ أن له هدفاً، والهدف قد يكون الدفء، وقد يكون الطهي، وقد يكون الضوء، وقد يكون غير ذلك، المهم أن يكون هناك هدف لإيقاد النار؛ يقول الحق سبحانه وتعالى: ((فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ))؛ ذلك أنهم في الحيرة التي تملأ قلوبهم؛ كانوا قد سمعوا من اليهود أن زمن نبي جديد قد أتى، فقرروا أن يؤمنوا به، ولكن إيمانهم لم يكن عن رغبة في الإيمان، ولكنه كان عن محاولة للحصول على أمان دنيوي؛ لأن اليهود كانوا يتوعدونهم، ويقولون: أتى زمن نبي سنؤمن به ونقتلكم به قتل عاد وإرم، فأراد هؤلاء المنافقون أن يتقوا هذا القتل الذي يتوعدهم به اليهود، فتصوروا أنهم إذا أعلنوا أنهم آمنوا بهذا النبي نفاقاً أن يحصلوا على الأمان؛ إن الحق سبحانه وتعالى يعطينا هذه الصورة؛ أنهم أوقدوا هذه النار، لتعطيه نوراً يريهم طريق الإيمان، وعندما جاء هذا النور - بدلاً من أن يأخذوا نور الإيمان - انصرفوا عنه،

^{٥١} السكاكي، يوسف بن أبي بكر، مفتاح العلوم، تحقيق نعيم زرزور (بيروت: دار الكتب العلمية، ط ٢، ١٩٨٧) ص ١٦٢.

^{٥٢} يُنظر: حمو، المسائل اللغوية والبلاغية، ص ٣٥.

وعندما حدث ذلك ذهب الله بنورهم، فلم يبق في قلوبهم شيء من نور الإيمان، فهم الذين طلبوا نور الإيمان أولاً، فلما استجاب الله لهم انصرفوا عنه، فكأن الفساد في ذاتهم، وكأنهم هم الذين بدؤوا بالفساد، وساعة فعلوا ذلك؛ ذهب الله بنور الإيمان من قلوبهم".^{٥٣}

وفي تفسيره قوله تعالى: ((وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ)) [الروم: ٥٥]؛ ساق الشعراوي قصة جرت معه في بعض دروس البلاغة، ويظهر فيها التأدب مع كلام الله تبارك وعلا؛ قال: "ولي أنا وزميلي الدكتور محمد عبد المنعم خفاجة - أطال الله بقاءه - قصة مع الجناس، ففي إحدى حصص البلاغة قال الأستاذ: لا يوجد في القرآن جناس تام إلا في هذه الآية بين (ساعة) و(ساعة)، لكن يوجد فيه جناس ناقص، فرجع الدكتور محمد أصبعه، وقال: يا أستاذ، أنا لا أحب أن يُقال في القرآن شيء ناقص، فضحك الشيخ منه، وقال له: إذن ما نقول؟ وقد قسم أهل البلاغة الجناس إلى تام وناقص؛ الأول تتفق في الكلمتين في عدد الحروف وترتيبها وشكلها، فإن اختلف من ذلك شيء فالجناس بينهما ناقص، كما في قوله تعالى: ((وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ)) [الهمزة: ١]، فبين (همزة) و(لمزة) جناس ناقص؛ لأنهما اختلفا في الحرف الأول، أذكر أن الشيخ أشار إلي، وقال: ما رأيك فيما يقول صاحبك؟ فقلت: نسميه (جناس كلّي) و(جناس بعضي)، يعني: تتفق الكلمتان في كل الحروف أو في بعضها، وبذلك لا نقول: في القرآن جناس ناقص".^{٥٤}

ومن الإشارات البلاغية تمييز الشعراوي (المثّل) من (المثّل) في استخدامهما للتشبيه، وذلك في سياق تفسيره قوله تعالى: ((مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ)) [العنكبوت: ٤١]؛ قال: "إذا قيل (مثّل) بسكون التاء؛ فمعناها التشبيه، لكن تشبيه مفرد بمفرد، كما في قوله تعالى: ((لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ)) [الشورى: ١١]، وقوله تعالى: ((وَجَزَاءٌ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا)) [الشورى: ٤٠]، أما (مثّل)

^{٥٣} تفسير الشعراوي، ج ١، ص ١٦٥-١٧١، ويُنظر مبحث التشبيه في: عيسى علي العاكوب، المفصل في علوم البلاغة (حلب: منشورات جامعة حلب، د.ط، ٢٠٠٠) ص ٣٥٣-٤٤٣.

^{٥٤} تفسير الشعراوي، ج ١٨، ص ١١٥٤٠، ويُنظر مبحث الجناس في: العاكوب، المفصل في علوم البلاغة، ص ٦٣٢-٦٤١.

بالفتح؛ فتعني تشبيه قصة أو متعدد بمتعدد، كما في قوله تعالى: ((واضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ)) [الكهف: ٤٥]، ٥٥.

٣. مراعاة السياق القرآني العام:

هذه المراعاة مبدأ عامٌ لدى المفسرين جميعاً، ولا سيما أنه قوام تفسير القرآن بالقرآن، فكلُّ آية تُجمع إلى ما أشبهها يتفاسران في سبيل بيان أن القرآن الكريم ما هو إلا من لدن عليم حكيم.

ونلاحظ أن الشعراوي ربط الآيات ذات المواضيع الواحدة في القرآن كله، وهو ما يسمى (التفسير الموضوعي)؛ يجمع فيه الآيات الدالة على الفكرة الواحدة؛ بغية ترسيخ الفهم وعقد المقارنات، ومثاله تفسيره قوله تعالى: ((كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ مُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)) [البقرة: ٢٨]، فقد أجمل فيه الشعراوي الآيات كلها التي تتحدث عن الخلق في مواضيعها المتنوعة وفي سورها المختلفة،^{٥٦} فقال: "الله سبحانه وتعالى ذكر لنا غيب الخلق في القرآن الكريم، فقال جل جلاله إنه خلق الإنسان من تراب، ومن طين، ومن حمأ مسنون، ثم نفخ فيه من روحه، وقرأ قول الحق سبحانه: ((إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ تُرَابٍ)) [الحج: ٥]، وقوله تعالى: ((وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ)) [المؤمنون: ١٢]، وقوله تعالى: ((إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِّنْ طِينٍ لَّازِبٍ)) [الصفات: ١١]، وقوله تعالى: ((وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ)) [الحجر: ٢٦]، وقوله تعالى: ((فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ)) [ص: ٧٢]، فالحق تبارك وتعالى أخبرنا عن مرحلة في الخلق لم نشهدها، ولكن الموت شيء مشهود لنا جميعاً، وما دام مشهوداً لنا؛ يأتي الحق سبحانه وتعالى به كدليل على مراحل الخلق التي لم نشهدها، فالموت نقض للحياة، والحياة أخبرنا الله تبارك وتعالى بأطوارها، ولكنها غيب لم نشهدها، ولكن الذي خلق قال: أنا خلقتك من تراب، من طين، من حمأ مسنون، من صلصال كالفخار، فالماء وُضع على تراب فأصبح طيناً، والطين تركناه

^{٥٥} تفسير الشعراوي، ج ١٨، ص ١١١٧٤، ويُنظر مبحث التشبيه في: العاكوب، المفصل في علوم البلاغة، ص ٣٥٣-٤٤٣.

^{٥٦} يُنظر: حمو، المسائل اللغوية والبلاغية، ص ٥٣.

فتغير لونه وأصبح صلصالاً، الصلصال جفَّ فأصبح حمأً مسنوناً، ثم نحتته في صورة إنسان، ونفخ الحق سبحانه وتعالى فيه الروح فأصبح بشراً".^{٥٧}

خاتمة

في ضوء ما سبق من كلام على مظاهر الاستدلال اللغوي في تفسير الإمام الشعراوي، استخلصنا النتائج الآتية:

١. الإمام الشعراوي ممن اشتغلوا على تفسير القرآن الكريم في ضوء مباحث علوم العربية، لأنه عالم بالعربية مُلِّمٌ بعلومها، وأمضى معظم أوقات طلبه العلم معها، ولا غرو أن تفسيره جاء زاخراً بالقضايا اللغوية والدلالية والبيانية التي استحالت استدالات لغوية لها مظاهرها التي تميز تفسيره.

٢. توزعت مظاهر الاستدلال اللغوي في تفسير الشعراوي في ثلاثة أقسام، فمنها ما يعني بالمنقول، ومنها ما يعني بالكلمات، ومنها ما يعني بالتراكيب.

٣. مظاهر الاستدلال اللغوي التي تعنى بالمنقول في تفسير الشعراوي ثلاثة؛ هي: العناية بالقراءات، ونقل أقوال أئمة اللغة وأخبارهم، والاحتجاج بالشعر.

٤. مظاهر الاستدلال اللغوي التي تعنى بالكلمات في تفسير الشعراوي أربعة؛ هي: تفصيل معاني الأدوات النحوية، وبيان الاشتقاق الصرفي، والحرص على المعنى الحقيقي للكلمة، وقبول المشترك اللفظي.

٥. مظاهر الاستدلال اللغوي التي تعنى بالتراكيب في تفسير الشعراوي ثلاثة؛ هي: التوجيه النحوي، والإشارات البلاغية، ومراعاة السياق القرآني العام.

٦. ثبت أن الشعراوي أديب بارع، وأن السياق العام لتفسيره اللغوي في امتياز؛ ينم عن أنه ما يحرص على شيء حرصه على المعنى واستقامته في سبيل شرح كلام الله عزَّ وجلَّ، وتيسيره للمتلقين في جوِّ إيماني صافٍ، وبمنطق متسلسل وأسلوب ميسر، مؤمناً بأن

^{٥٧} تفسير الشعراوي، ج ١، ص ٤٢٢-٢٢٦.

الدعوة إلى الله سبحانه سبيل النفع والنجاة، ولا صلاح لهذه الأمة إلا بامتثال القرآن الكريم.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

ابن خلكان، أحمد بن محمد، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق إحسان عباس (بيروت: دار صادر، د.ط، د.ت).

ابن منظور، محمد بن مكرم، **لسان العرب**، تحقيق جمع من المحققين (القاهرة: دار المعارف، د.ط، د.ت).

ابن هشام، عبد الله بن يوسف، **مغني اللبيب عن كتب الأعراب**، تحقيق وشرح عبد اللطيف الخطيب (الكويت: السلسلة التراثية، د.ط، ٢٠٠٢).

أبو العتاهية، إسماعيل بن القاسم، **ديوان أبي العتاهية** (بيروت: دار بيروت، د.ط، ١٩٨٦).

أبو تمام، حبيب بن أوس، **ديوان الحماسة** (القاهرة: طبعة التوفيق، د.ط، ١٣٢٢هـ).

أحمد الحملوي، **شذا العرف في فن الصرف**، شرحه وفهرسه واعتنى به عبد الحميد هندراوي (بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ٢٠٠٧).

أحمد بن فارس، **الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها**، تعليق: أحمد حسن بسج (بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٩٩٧).

أحمد شوقي، **الشوقيات**، تحقيق وتقديم عمر فاروق الطباع (بيروت: دار الأرقم، د.ط، د.ت).

أحمد صلاح الدين بن محمد عزيزان، الضيافة والكرم في ضوء تفسير الشعراوي: دراسة تحليلية، رسالة ماجستير في معارف الوحي والتراث (الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا، كوالالمبور، ٢٠١٨).

توفيق محمد شاهين، المشترك اللغوي نظرية وتطبيقاً (القاهرة: مكتبة وهبة، د.ط، ١٩٨٠).

الحموي، ياقوت بن عبد الله، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب "معجم الأدباء"، تحقيق إحسان عباس (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط ١، ١٩٩٣).

رولى محمد أحمد محسن، منهج الشيخ محمد متولي الشعراوي في تفسير القرآن الكريم، رسالة ماجستير في الدراسات الفقهية والقانونية (جامعة آل البيت: المفرق، المملكة الأردنية الهاشمية، ٢٠٠٠).

الزجاج، إبراهيم بن السري، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق أحمد فتحي عبد الرحمن (بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ٢٠٠٧).

الزركشي، محمد بن بهادر، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم (بيروت: المكتبة العصرية، د.ط، ١٤١٩هـ).

الزخشري، محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (بيروت: دار الكتاب العربي، ط ٣، ١٤٠٧هـ).

السكاكي، يوسف بن أبي بكر، مفتاح العلوم، تحقيق نعيم زرزور (بيروت: دار الكتب العلمية، ط ٢، ١٩٨٧).

عبد الكريم حمو، المسائل اللغوية والبلاغية في تفسير الإمام محمد متولي الشعراوي (الجزائر: دار ألفا للوثائق، ط ١، ٢٠١٧).

عبد اللطيف الخطيب، معجم القراءات (دمشق: دار سعد الدين، ط ١، ٢٠٠٢).

عبد الله بن عقيل، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد (القاهرة: دار التراث، ط ٢٠، ١٩٨٠).

عبد الواحد حسن الشيخ، البلاغة وقضايا المشترك اللفظي (الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، د.ط، ١٩٨٦).

عيسى علي العاكوب، المفصل في علوم البلاغة (حلب: منشورات جامعة حلب، د.ط، ٢٠٠٠).

محمد أحمد الصغير، الأدوات النحوية في كتب التفسير (بيروت، دار الفكر المعاصر، ط ١، ١٤٢٢هـ).

محمد الأمين الشنقيطي، مذكرة أصول الفقه (مكة المكرمة: دار عالم الفوائد، ط ١، ١٤٢٦هـ).

محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي (القاهرة: دار أخبار اليوم، د.ط، ١٩٩١).

مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية، تحقيق عبد المنعم خفاجة (صيدا، بيروت: الدار العصرية، ط ٢٨، ١٩٩٣).